وقفات مع حديث

"الدين النصيحة"

مع فضيلة الشيخ

عبد اللّه الغديان رحمه اللّه

قام بتفريغ هذه المادة نجيب الجزائري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في كلمة سأتكلم بها وبعد الكلمة تكون الإجابة على الأسئلة.

أما الكلمة فهي على حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث رواه مسلم. والحديث هو أنه جاء رجل إلى النبي صلى اله عليه وسلم يطلب النصيحة فقال له: **الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله قال: لله و لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**[1]. هذا الحديث هو من جوامع الكلم وقد اشتمل على أمور:

الأمر الأول: هو قوله صلى الله عليه وسلم **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** يعني أنه جعل جميع الدين من جهة إيصاله إلى من يستفيد منه، جعل ذلك نصيحة. فتعلم الدين والعمل بالدين وتعليم الدين كل هذا من النصيحة.

ولكن بين الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من الأمور لبيان مواقع هذه النصيحة فقال: لله، لما سئل لمن يا رسول اله قال: له: وهذا هو الأمر الثاني. والنصيحة لله جلّ وعلا من ناحية الاعتقاد بالإيمان وانتفاء النفاق بجميع صوره سواء كان نفاقا أكبر أو كان نفاقا أصغر. يعني تحقيق الإيمان من جهة ونفي ما عداه من جهة أخرى وهو الذي ينافي الإيمان وهو النفاق. النفاق الأكبر هذا إذا مات عليه الإنسان فهو موجب لخلوده في النار. أما إذا تاب منه قبل موته فباب التوبة مفتوح، والنفاق الأصغر دونه، مثل الإنسان يحلف وهو كاذب لأن هذا لا يتطابق قوله مع ما في قلبه ولهذا النبي قال: **آية المنافق ثلاث**[2]، ذكر منها إذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وإذا عهد غدر. فالإنسان لابد أن ينضبط في باطنه وفي ظاهره من جهة تحقيق الإيمان وانتفاء ضده وكذلك من ناحية التوحيد، تحقيق توحيد الله، سواء كان هذا التوحيد يتعلق بذاته، بأسمائه، بصفاته وبعبادته فلابد أن يحقق الإنسان علاقة بالله من جهة ذاته وأسمائه وصفاته يعني في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتحيد الأسماء والصفات. فلابد أن يوحد الله جلّ وعلا في أفعال الله لأن الله لا شريك له، لا في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته. إذا لابد من تحقيق التوحيد ولابد من انتفاء ضده الذي هو الشرك، وسواء كان الشرك شركا أكبر أو كان شركا أصغر. والفرق بينهما أن الشرك الأكبر إذا مات عليه الإنسان فإنه يكون خالدا مخلدا في النار أما الشرك الأصغر فإنه لا يكفر صاحبه والتوبة مقبولة من المشرك شركا أكبر أو شركا أصغر وإذا كان في الحياة. أما إذا مات الإنسان وهو متلبس بالشرك الأصغر فهذا لا يغفر ولكن إما أن يؤخذ من حسناته بقدر الشرك أو أنه يدخله الله النار ويعذبه فيها بقدر شركه ثم مآله إلى الجنة. أما الشرك الأكبر فهذا إذا مات عليه الإنسان فإنه مشرك شركا أكبر مخلد في النار . هذا هو النصيحة لله جلّ وعلا.

والنصيحة لكتابه: يصدق العبد أن هذا القرآن هو كلام الله بحروفه ومعانيه وأن صفة الكلام صفة من صفات الله جلّ وعلا وأنه يتكلم متى شاء. فإن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، بمعنى أن الله لا يزال متكلما. وكذلك من ناحية تعلّمه

---

[1] قال الألبانى فى " إرواء الغليل " ٦٢/١ : صحيح . ورد من حديث تميم الدارى و أبى هريرة و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس . أما حديث تميم : فأخرجه مسلم (٥٢/١) و أبو عوانة (٣٧/١) و أبو داود (رقم ٤٩٤٤) و النسائى (١٨٦/٢) و أحمد (١٠٢/٤) و ابن نصر فى " الصلاة " (ق ٢/١٦٥) عن سهيل بن أبى صالح عن عطاء بن زيد الليثى عنه مرفوعا به و زادوا – إلا مسلما – : " الدين النصيحة ثلاثا " ثم زادوا جميعا : " قلنا : لمن ؟ قال : لله ، و لكتابه ، و لرسوله ، و لأئمة المسلمين ، و عامتهم " .

[2] رواه البخاري في صحيحه (الفتح ١ : ٨٣ ، ٨٤) من حديث أبي هريرة. وعبد الله بن عمرو. ورواه مسلم في صحيحه (٢ : ٤٦ – ٤٨) ، من حديث عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة.

بمعنى التصديق أولا ثم بعد ذلك التعلم، تعلم القرآن من ناحية قراءته قراءة منضبطة وكذلك من ناحية فهمه، وفهم القرآن هذا يحتاج إلى أن الشخص يكون ملما بأمور تساعده على فهمه، وهذه الأمور هي أنها أولا:

١. يحدد الآيات التي تتعلق بموضوع واحد، فإذا نظرنا إلى سورة البقرة وجدنا أنها تشتمل على أربعين (٤٠) موضوعا وسورة آل عمران تشتمل على عشرين (٢٠) موضوعا وهكذا. فيحدد الآيات التي تتكلم على موضوع واحد وإذا حددها يعرف ما هو الموضوع، في الرضاع، أو في الطلاق أو في توحيد الألوهية أو توحيد الربوبية.
٢. فإذا تحدد الموضوع فلابد من معرفة هذه الآيات هل لها سبب، ويبحث عن سب النزول.
٣. وكذلك هذه الآيات هل هي سالمة من النسخ أو أن فيها ناسخ أو منسوخ.
٤. ثم ينظر في هذه الآيات من ناحية المشكل اللفظي. والمشكل اللفظي هذا مثل قول الله جلّ وعلا في بعض المواضع القرآن في ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ۚ﴾[المائدة:٣] وفي بعض المواضع ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾[البقرة:١٧٣] ١\٥ من ناحية المشكل اللفظي، وكذلك المشكل المعنوي، والمشكل المعنوي هو الآيات التي تشكل على طالب العلم مثل قول الله جلّ وعلا ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾[الصافات:٢٤] مع قوله جلّ وعلا ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴾[الرحمن:٣٩] فالآية الأولى تثبت السؤال والآية الثانية تنفي السؤال. في كتب مؤلفة في المشكل اللفظي وكذلك هذا النوع من الإشكال. فلابد أن يعرف طالب العلم الإشكالات التي تتعلق بهذه الآيات سواء كانت إشكالات لفظية أو إشكالات معنوية.
٥. ثم بعد ذلك يعرف ما في هذه الآيات من معاني المفردات، مفردات لغوية وفيه كتاب في مفردات اللغة : مفردات اللغة للراغب الأصفهاني طبعة جديدة وجيدة لطالب العلم. إذا فينظر لهذه الآيات من ناحية ما تشتمل عليه من القراءات ومن ما تشتمل عليه من ناحية معاني المفردات.
٦. ثم بعد ذلك يرجع إلى هذه الآيات ويعرف معاني الجمل على حسب علامات الوقف.
٧. ثم يعرف المعنى العام لهذه الآيات.
٨. ثم بعد ذلك ينظر فيما اشتملت عليه هذه الآيات من الأحكام.
٩. ثم بعد ذلك إذا كان يريد التوسع ينظر أيضا في هذه الآيات من ناحية علاقة بالسنة بها لأن القرآن يفسر بعضه بعضا والسنة يفسر بعضها بعضا.

في إمكانكم أن توصوا الشخص الذي يتصل بي في الرياض وأنا أعطيه بيانا كاملا عن هذا المنهج وغرضي أنا هو أن الإيمان بالكتاب ليس مجرد تصديق بالقلب فقط فلابد من هذه الأمور التي ذكرتها.

النصيحة لله ولكتابه والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم : التصديق برسالته وأن رسالته عامة لثقلين لإنس والجن. وكذلك تقديم أقواله على أقوال غيره من البشر ، ولهذا **الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى ورقة في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما هذه يا ابن الخطاب. قال: ورقة من التوراة. قال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب. لو كان موسى حياً ما وسعه إلا**

تباعي[3]. فيؤمن أن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم عامة لثقلين ولهذا الله تعالى يقول ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ٢٨﴾[سبأ:٢٨] وقال صلى الله عليه وسلم **بعثت إلى الأحمر والأسود وكل نبي يبعث إلى قومه خاصة**[4]. والموقصود أن رسالة الرسول صلى الله عليه عامة للثقلين كما قال تعالى في موضع آخر ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ٣١﴾[الأحقاف:٣١-٣٠-٢٩] فهو رسول إلى الإنس والجن هذا من جهة. فلابد من محبته أيضا لما قال له عمر رضي الله عنه يا رسول اله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. قال: لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك. قال: أنت الآن أحب إلي من نفسي. فقال الآن يا عمر. فيقدم الإنسان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق، يقدمها لأن محبة الرسول صلى الله عليه ولم أحق الدين. فيقدم الإيمان به والتصديق به وكذلك محبته، أما مجرد محبته بكلام يقوله الإنسان بلسانه ولكنه يخالفه أقواله وأفعاله مثل الناس الذين يقيمون الموالد ولكنهم يخالفون النبي صلى الله عليه وسلم في أمور كثيرة، فهذا ليس من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك امتثال أوامره واجتناب نواهيه. يعني ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي الإنسان منه ما استطاع وما نهاه عنه فإنه يجتنبه. هذا من جهة الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم.

الإيمان بالرسول كما أنه إيمان لذاته محبة وانقيادا وما إلى ذلك فكذلك يتبع الإيمان بسنته لأن السنة هي الوحي الثاني. فهذه ثلاث نصائح: نصيحة لله ولكتابه ولرسوله.

ونصيحة لأئمة المسلمين: بمعنى أن الإنسان يحرص بقدر الإمكان أنه ينصح من ولّي أمرا من أمور المسلمين ولهذا الرسول صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه. والإنسان يعرف إذا أراد أن يغير منكرا ينظر هل ستترتب عليه مصلحة راجحة أو تترتب عليه مفسدة راجحة على مصلحة أو يترتب عليه مفسدة مثل مصلحته وإذا ترتب عليه مصلحة راجحة فإنه يمضي في تغييره. وإذا كان يترتب عليه مفسدة راجحة على المصلحة أو مفسدة مساوية للمصلحة فإنه يمتنع عن تغييره. ومما يحصل التنبيه عليه أن طالب العلم إذا سمع قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فإن هذا في صورة واحدة وهذه الصورة هي ما إذا تساوى جانب المصلحة وجانب المفسدة بمعنى أنك تريد أن تغير منكرا فيه مفسدة لكن إذا كان هذا التغيير يترتب عليه مفسدة مثل المصلحة التي أنت تريد فحين إذن لا تغير لأن التغيير ليس له أثر.

وبعد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **ولعامتهم** يعني لعامة المسلمين، ولهذا الرسول صلى الله عليه وسلم قال في موضع آخر " **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[5] والرسول صلى الله عليه وسلم "**مثل المسلمين في توادهم**

---

[3] قال الألباني في "إرواء الغليل" ٣٤/٦ : حسن . أخرجه أحمد (٣٨٧/٣) من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله

[4] الشطر الأول "بعثت إلى الأحمر والأسود "قال الألباني: أخرجه الدارمي (٢٢٤/٢) و أحمد (١٤٥/٥ ، ١٤٨ ، ١٦١) و السراج (ق ٢/٤٦) بإسناد صحيح ، و روى منه أبو داود (٤٨٩). والشطر الثاني قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ١٠٥٦ في صحيح الجامع.

[5] قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ١١٣ :أخرجه البخاري (١ / ١١) ، و مسلم (١ / ٤٩) ، و أبو عوانة في " صحيحه " (١ / ٣٣) ، و النسائي (٢ / ٢٧١ ، ٢٧٤) ، و الترمذي (٢ / ٨٤) ، و الدارمي (٢ / ٣٠٧) ، و ابن ماجه (رقم ٦٦) ، و الطيالسي (رقم ٢٠٠٤) ، و أحمد (٣ / ١٧٧ ، ٢٠٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨) من حديث أنس بن مالك مرفوعا .

وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى[6]" وقال الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ۝١٠﴾[الحُجُرات: ١٠] فالإنسان يبذل النصح للمسلمين بقدر ما يستطيع وبقدر ما يتمكن منه يعني لأن الإنسان قد يكون عنده علم ولكنه لو بذله ترتب عن بذله مفسدة عظيمة وقد يكون عنده علم في بعض الأمور ولكن ليس عنده علم في بعض الأمور الأخرى وبناء على ذلك فإنه يسعى إلى إصلاح الناس بقدر ما يستطيع وبقدر ما يتحقق من جلب المصلحة ودرء المفسدة ولكل مقام مقال. وقد سئل الإمام أحمد – سأله رجل فقال يا أبا عبد الله كيف أسلم من الناس قال *أحسن إليهم ولا تطلب منهم أن يحسنوا إليك وتحمل إساءتهم ولا تسيء إليهم ولعلك تسلم*. وبناء على ذلك فينبغي لطالب العلم أن تكون علاقته بالناس علاقة جلب مصلحة ودرء مفسدة يعني يسعى في جلب المصالح لهم من جهة ويسعى في درء المفاسد عنهم من جهة أخرى.

هذه كلمة مختصرة على هذا الحديث وأسأل الله لي ولكم التوفيق.

---

[6] قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٣ / ٧١: أخرجه مسلم (٨ / ٢٠) و أحمد (٤ / ٧٠) و الطيالسي (رقم ٧٩٠) من حديث الشعبي عن النعمان بن بشير به مرفوعا . و أخرجه البخاري (١٠ / ٣٦٠ – ٣٦١ – فتح) من هذا الوجه بلفظ:" ترى المؤمنين ...". و له طريق ثان عن النعمان . أخرجه الطيالسي (رقم ٧٩٣) و أحمد (٤ / ٢٧٤) عن سماك بن حرب عنه به مختصرا .